المحور الرابع: الوقائع الاقتصادية في الدول الاشتراكية بعد الحرب العالمية

مقدمة: لقد مر تاريخ الفكر الاقتصادي (منذ وجود الانسان على الأرض) بعدة أنظمة اقتصادية بداية من النظام المشاعي (البداي) ، ثم نظام الرق (العبودي) في العصور القديمة ومن ثم النظام الاقطاعي والحرفي في العصور الوسطى وبحلول القرن العشرين شهد العالم منعطفًا حاسمًا في تحول المراكز الاقتصادية و المالية العالمية و ذلك ببروز قوى عالمية جديدة كالولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتي، و لعل بروز النظام الاقتصادي الاشتراكي هو احدى الوقائع الاقتصادية البارزة اضافة الى هزات كبيرة فيما عرف بحرب العملات. الا انه قبل التطرق الي هذان النظامان (النظام الاقتصادي الرأسمالي والاشتراكي)، لابد من معرفة ماهية النظام الاقتصادي اولًا.

➤ تعريف النظام الاقتصادي:

- **النظام:** هو مجموعة من العناصر (الأجزاء) والعلاقات (هي التي تربط بين مختلف هذه الأجزاء) واجتماع العناصر والعلاقات معا يشكل لنا ما يعرف بالنظام.
- **النظام الاقتصادي:** هو مجموعة من العناصر والعلاقات (الاقتصادية القانونية والاجتماعية) التي تحكم سير الحياة الاقتصادية في مجتمع ما وفي زمان معين، ويركز النظام الاقتصادي على مجموعة العلاقات والقوانين والأسس التي تحكم التفاعل والتأثير المتبادل بين الحاجات البشرية من جهة والموارد الطبيعية والبشرية والمعرفية والتقنية المتاحة من جهة أخرى.

1/ ظروف نشأة الاشتراكية: نشأ الفكر الاشتراكي مع نشأة الانسان فإذا ما ربطنا الاحداث نجد أن النظام الاقتصادي الأول السائد في الكون هو نظام «المشاعية البدائية» والذي كانت فيه وسائل الانتاج مشاعة بين أفراد العشيرة يعني ملكية جماعية لوسائل الإنتاج وهو أحد مبادئ النظام الاشتراكي.

اما عن ظروف نشأة الاشتراكية كنظام اقتصادي فتعود الى المظالم و التفاوت الطبقي الذي ميز النظام الرأسمالي فظهر بذلك عدد من المفكرين الاوروبيين الذين عملوا على طرح مبادئ تهدف الى نبذ الرأسمالية و اقامة اشتراكية بديلة تستند على الملكية الجماعية لوسائل الانتاج و يأتي في مقدمة هؤلاء المفكرين الفرنسيين "سان سيمون" و "شارل فورييه" "1837-1772" و الإنجليزي "روبرت اوين" الذين انتقدوا تناقضات المجتمع الرأسمالي و انعكاساته السلبية على الطبقات المقهورة من السكان فنادوا الى اقامة مجتمع اشتراكي كما تمكنوا من تخيل بعض ملامحه فشككت افكارهم المرحلة الاولى من مراحل نشاه الاشتراكية و التي عرفت بمرحلة الاشتراكية الطوباوية.

1/ مرحلة الاشتراكية المثالية (الخيالية أو الطوباوية): تعود جذورها إلى أفلاطون الذي كان يحلم بتكوين مجتمع مثالي يعيش فيه الناس سواسية و بقيت أفكاره راسخة في أذهان الكثير من الفلاسفة والمفكرين لعصور طويلة حتى جاء القرن التاسع عشر و تتحقق في شكل الاشتراكية العلمية ومن بين هؤلاء المفكرين والفلاسفة نجد:

-شارل فورييه:(1772م-1837م) Charles Fourier: يرى أن الرأسمالية نظام شرير يجب استبداله بنظام جديد يستطيع فيه الانسان ممارسة رغباته بحرية من خلال إنشاء تعاونيات الانتاج والاستهلاك بحيث يكون لكل فرد الحق في العمل.

المحور الرابع: الوقائع الاقتصادية في الدول الاشتراكية بعد الحرب العالمية

-روبرت أوين (1771م - 1858م) Robert Owen: يرى أن مصلحة كل فرد تتعارض مع مصلحة الآخرين ما يؤدي إلى ظهور حروب اجتماعية لذلك أتى بتصور جديد للمجتمع يقوم على أساس التعاون.

-بيير جوزيف برودون (1809م - 1868م) Pierre-Joseph Proudhon: يرى أن تقسيم العمل يؤدي إلى تحسين الانتاجية لكن هذا التحسن هو في الأساس ناتج عن قوة العمل الجماعية ليأتي رجال الأعمال الرأسماليين ويستولون على الفائض الذي ينشأ من تجميع هذه القوى الفردية ، لذلك يدافع عن إقامة نظام اجتماعي جديد قائم على التضاضدية والائتمان الحر والفرالية.

تطورت هذه الافكار في القرن 18م لتظهر في صفة مذاهب ومدارس مختلفة وكان هدفها هو إحلال النظرة الجماعية على الفردية وذلك بتدخل الدولة في الحياة الاقتصادية فتأثر "كارل ماركس" هو الآخر كغيره من المفكرين في تلك الحقبة وكتب الكثير عن الاشتراكية ونادى إلى السعر العادل وعدم الاستغلال، و عرفت هذه الفترة ب:

2/ مرحلة الاشتراكية العلمية: تنتسب إلى كارل ماركس الذي حاول بناء اشتراكية تعتمد على أسس ومناهج علمية كأدات رئيسية في تحليل قضايا اقتصادية واجتماعية بحيث كانت في الوقت نفسه تهدف إلى تعويض مبدأ الرأسمالية التي ساد فيها الاضطهاد للطبقة الشغيلة والتي تحمل في طياتها تناقضات وسلبيات «وانعدام المساوات وبروز فئتين مختلفتين في مجتمع هيمن فيه مذهب الاقتصاد الحر»¹.

بالرغم من تعدد النظريات والمذاهب التي تناولت الفكر الاشتراكي إلا أن النظرية الماركسية اللينينية وحدها التي تمكنت من نقل هذا الفكر الى الواقع فأصبحت بذلك الأساس الذي قامت عليه أنظمة اشتراكية سادت بلدان عدة، في القرن العشرين.

بدا تطبيق النظام الاشتراكي في اعقاب الحرب العالمية الاولى بعد نجاح الثورة البلشفية في 25 اكتوبر 1917 ما سمح بتأسيس الاتحاد السوفياتي في 1922م، ثم بدا النظام بالانتشار تدريجيا الى مناطق اخرى بعد الحرب العالمية الثانية، فتبنته اروبا الشرقية و الصين بعدها انتقل الى الفيتنام و كوبا و كوريا الشمالية. لقد اختلف تطبيق الاشتراكية من دولة الى اخرى الا ان هذا المنهج يبقى تحديا رئيسيا للرأسمالية ويتجلى ذلك في العلاقات الاقتصادية و السياسية الدولية و التي افرزت انقسم العالم سياسيا الى معسكر غربي و معسكر شرقي و اقتصاديا الى نظام رأسمالي و نظام اشتراكي و شكلت الحرب الباردة اطارا لهذا الانقسام.

تعريف الاشتراكية: يمكن تعريف الاشتراكية بأنها نظام اقتصادي واجتماعي يقوم على تأمين وسائل الانتاج (اراضي، مصانع، الات.....) والتخطيط المركزي للنشاط الاقتصادي، يتسم بإلغاء النظام الطبقي في المجتمع والقضاء على استغلال الانسان لأخيه الإنسان ويهدف إلى تلبية حاجيات المجتمع، تحقيق العدالة والمساوات بين الأفراد.

جلطي غانم _ محاضرات في تاريخ الوقائع الاقتصادية، السنة الجامعية (2021-2022)، ص 44¹

المحور الرابع: الوقائع الاقتصادية في الدول الاشتراكية بعد الحرب العالمية

كذلك يمكن تعريفه بأنه "مجموعة من النظريات السياسية الاقتصادية والاجتماعية التي تتمركز على الملكية الجماعية لمصادر الثروة و وسائل الانتاج و تكافؤ الفرص لدى الجميع, و يهدف الى تحقيق العدالة الاجتماعية بين افراد المجتمع"².

من خلال التعريفات السابقة نلتمس هيمنة الدولة على الاقتصاد و الدور الرئيسي لها في عملية الانتاج و التوزيع و ذلك باعتمادها على اتباع اسلوب التخطيط المركزي الشامل و الالزامي, فيتم رسم اهداف طموحة و تسعى الدولة لتحقيقها عن طريق حصر الموارد المتاحة و توجيهها توجيهها واعيا و كفوًا.

2/ مبادئ وأسس الاشتراكية:

_ يقوم النظام الاقتصادي الاشتراكي على مبدأ «الانتاج من أجل الاستخدام» وهذا يعني أن يتم انتاج السلع والخدمات لتلبية الطلبات الاقتصادية والحاجات البشرية بشكل مباشر.

-تقييم الاشياء يكون على أساس قيمة استخدامها والمنفعة التي تحققها .

_ بخصوص توزيع الانتاج هناك ثلاث اقتراحات أولهما على حسب مساهمة كل شخص وثانيهما على حسب قدرة كل شخص وثالثهما على حسب حاجة كل شخص.

_ دقة وتقييم وحساب هذه الطرق يتم نقاشها حسب نوع الاشتراكية.

3/خصائص النظام الاشتراكي:

1- ملكية وسائل الانتاج: و تنقسم الى قسمين رئيسيين و هما:

ا/الملكية الجماعية: يعني ان وسائل الانتاج تابعة للمجتمع عامة (ملكية الدولة و هي الصورة الاكثر شيوعا في المجتمعات الاشتراكية) وليس للفرد. بينما الملكية الفردية في النظام الاشتراكي تنحصر في اشياء بسيطة مثل السلع الاستهلاكية.

إن الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ذات أهمية كبيرة في النظام الاقتصادي الاشتراكي وهو جوهر الأساس في الاختلاف عن النظام الرأسمالي بحيث تمنح هذه الخاصية (وسائل الانتاج ملك للمجتمع وليس لأرباب العمل) نوع من التوافق في المصالح بين العمال وزيادة الانتاج باعتبارهم المالكون لهذه الوسائل وتستخدم هذه الأخيرة لإشباع رغبات واحتياجات المجتمع المكون بشكل أساسي من العمال.

ب/الملكية التعاونية: يعني وسائل الانتاج تابعة لمجموعة من العمال الذين يستخدمونها في عملية الانتاج (في شكل تعاونيات) و خاصة فيما يخص ملكية الاراضي و المستثمرات الزراعية, الصناعات الصغيرة, المهن الحرفية و تجارة التجزئة

حوحو سعاد, تاريخ الوقائع الاقتصادية, مطبوعة جامعية -جامعة محمد خيضر- بسكرة (2014-2015) ص 86²

المحور الرابع: الوقائع الاقتصادية في الدول الاشتراكية بعد الحرب العالمية

2- **التخطيط الاقتصادي المركزي:** يعني أن الدولة هي التي تقوم بتنظيم النشاط الاقتصادي وليس السوق وذلك بمخططات مطبقة في كل البلد وعلى غالبية (مجملة) القطاعات ، وذلك بفضل لجان مركزية تضع خطة موحدة لاقتصاد البلد ككل بحيث تحدد واجبات وأهداف كل جزء من أجزاء الاقتصاد ضمن خطة التنمية الاقتصادية الموحدة ويشمل هذا التخطيط خطة الانتاج، مستوى الانتاجات المختلفة، توزيع المداخل، تقنيات الانتاج، تحديد الأسعار....إلخ. أي أن الدولة تأخذ قرارات من ينتج، كم ينتج (كمية السلع المراد انتاجها) وكيف ينتج، انواع السلع التي تنتجها، الموارد التي تستخدمها في ذلك.... و الهدف من التخطيط هو جعل جميع الفعاليات الاقتصادية بمختلف أشكالها تخضع لهدف الدولة المركزي والمتمثل في التوزيع العادل للسلع والخدمات لكل شخص بقدر الجهد المبذول والحاجة للسلعة أو الخدمة.

3- **إشباع الحاجات الجماعية** (كل حسب طاقته وكل حسب حاجته): حيث يقدم كل فرد خدماته الى المجتمع بحسب طاقته و في المقابل يتسلم الفرد من المجتمع بحسب حاجته.

4- **زوال المنافسة التجارية:** أي القضاء على المنافسة الفردية وخلق منافسة من نوع آخر وهي المنافسة بين الأفراد والمؤسسات في زيادة الإنتاج وتحسينه كما ونوعا.

4/بناء الاقتصاد الاشتراكي: كان النظام الاقتصادي والسياسي السائد في روسيا قبل ثورة أكتوبر 1917م نظاما رأسماليا إقطاعيا، لكن بعد الثورة البلشفية شرعوا في تطبيق السياسات الاشتراكية لأول مرة في العالم فأخذ الاتحاد السوفياتي يؤمم الصناعات والمصاريف ووسائل النقل والأراضي وفرض الاحتكار على التجارة الخارجية كما عمد الى إقامة الصناعة الثقيلة.

1- **الزراعة في النظام الاشتراكي:** بعد ثورة 1917م قضت الدولة (الاتحاد السوفياتي) على نظام الاقطاع وعوضته بالإشراف الحكومي، بمعنى أن الحكومة هي المشرف الرئيسي والفعلي إذ:

1- تشترك مع المزارعين في الانتاج عن طريق تملكها وإدارتها للمزارع الحكومية.

2- تؤثر في الانتاج كما ونوعا وذلك بسيطرتها وتوجهها للمزارع الجماعية.

3- تمتلك الدولة عوامل الانتاج و وسائل النقل وبالتالي تحتكر التوزيع في الداخل و التصدير للخارج.

نلاحظ أن هذه السياسات تختلف من نظام اشتراكي لآخر، ففي يوغسلافيا مثلا سمحت الدولة للعمال بالإشراف الكامل على بعض الوحدات وذلك بالقيام بعمليات الانتاج والتوزيع داخليا وخارجيا وهذا بطبيعة الحال بحسب الظروف الاقتصادية والسياسية للبلد. كذلك عمدت الجزائر هي الأخرى إلى التسيير الاشتراكي للمستثمرات الفلاحية في فترة السبعينات.

2- **الصناعة الوطنية:** قامت الحكومة باحتكار عمليات البنوك والتجارة الخارجية والداخلية بشكل تدريجي، ثم لجأت إلى تأميم الصناعات الرئيسية وبعد ذلك وفي عام 1920م أصدرت قانون تأميم الصناعات الصغيرة.

المحور الرابع: الوقائع الاقتصادية في الدول الاشتراكية بعد الحرب العالمية

أسهمت الإجراءات المتخذة بجعل الصناعة الوطنية تشارك بنسبة متزايدة وفعالة في الانتاج الصناعي العالمي فبعد ما كان معدل المشاركة العالمية يشكل 3% سنة 1917م ارتفع إلى 10% في 1937م وإلى 20% في 1965م.³

ملاحظة: واجه تأميم الصناعات في مرحلته الأولى العديد من الصعوبات منها:

- معارضة الدول الرأسمالية للنظام الاشتراكي وذلك بقطع رؤوس الأموال المستثمرة في روسيا من قبل الدول الرأسمالية (كانت الصناعة الروسية قائمة على رؤوس الأموال الأجنبية منذ 1885م).
- أغلبية المشاريع الصناعية كانت مؤسسات صغيرة فردية ما أدى إلى صعوبة كبيرة في تأميمها والإشراف عليها.
- سوء إدارة اللجان العمالية للمصانع المؤممة لنقص التجربة والخبرة لديهم مما أدى إلى الاختلال بالإنتاج وإيقاف العديد منها.

ادت هذه الصعوبات الى تدهور الأوضاع الصناعية، الامر الذي استدعى تدخل الدولة بإدخال تحسينات على المصانع وإدخال وسائل تكنولوجية في عدد من الصناعات (خاصة الحربية منها) إلا أن العقبات استمرت إلى غاية 1928م مع إطلاق مشروع السنوات الخمس الأولى الذي يعتبر نقطة الانطلاق في تاريخ التطور الاقتصادي الاشتراكي.

3- سياسة التوجيه الاقتصادي: تعني قيام الدولة بتوجيه القرارات الاقتصادية بناء على أولوية المجتمع والتوجهات السياسية (بدلا من قوى السوق)، فيتم توجيه الاستثمارات الوطنية و الاجنبية، توجيه اتجاهات التجارة الخارجية كذلك توجه الإنفاق الحكومي نحو البنية التحتية والخدمات العامة وتحديد الأولوية في التنمية الاقتصادية وتوزيع الثروة والدخل.

هذا التنظيم وتوجيه الاقتصاد من قبل الدولة عادة ما يتم بوضع خطط خماسية أو سنوية لتحقيق الاهداف الاقتصادية المحددة والعدالة الاجتماعية.

يتفاوت تطبيق سياسة التوجيه الاقتصادي في الدول الاشتراكية حسب السياق السياسي والاقتصادي لكل دولة فبعض الدول تطبق نماذج قوية للتدخل الحكومي والتوجيه الاقتصادي بينما تتبنى دول أخرى نماذج أكثر اقتصادية وليبيرالية في التوجيه الاقتصادي.

4- مشروعات السنوات الخمس: عرف الاتحاد السوفياتي في الفترة الممتدة من 1928 إلى 1955 خمسة خطط، دامت كل منها خمسة سنوات، لهذا اطلق عليها اسم "مشروعات السنوات الخمس" و هي موضحة كالتالي:

1- كانت أول خطة خماسية للاتحاد السوفياتي (1929م-1933م) وكان الهدف الأساسي لها «تصفية القطاع الخاص» وجعل البنية الهيكلية للاقتصاد السوفياتي وكذا تطورها خاضع لقيادة القطاع الاشتراكي وذلك بالتركيز على الطرق الحديثة للتصنيع الثقيل والعمل على تشجيع الفلاحين للانخراط في التعاونيات الزراعية. تم خلال هذه الفترة دمج العديد من

عيد الله خيابة- بوقرة رابع، الوقائع الاقتصادية من التاريخ القديم إلى بداية القرن الواحد والعشرين، الجزائر، ص 76³

المحور الرابع: الوقائع الاقتصادية في الدول الاشتراكية بعد الحرب العالمية

المستثمرات الزراعية الفردية مع بعضها البعض ووضعها في شكل تعاونيات اشتراكية ما سمح بتصفية طبقة المزارعين الأغنياء وتأميم وسائل إنتاجهم ووضعها تحت تصرف الحركة التعاونية المكونة من غالبية الفلاحين.

تهدف هذه الخطة الى تنمية الاقتصاد بشكل عام من خلال بناء وسائل النقل والمواصلات ثم استغلال المناجم والتوسع في الأراضي الزراعية وطرق الري. وفي نهاية الخطة الخماسية الأولى (1932م) زاد انتاج الأدوات الكهربائية والآلات إلا أن إنتاج الحبوب والسلع الاستهلاكية لم تحقق النتائج المرجوة منها.

2- مشروع السنوات الخمس (1933م - 1937م) نجح في زيادة إنتاج الصناعات الحربية وصناعة الحديد والصلب.

3- المشروع الثالث بدأ في 1938م، إلا أنه توقف بعد هجوم ألمانيا على روسيا في 1941م وحل محله مشروع الانتاج الحربي حتى نهاية الحرب.

4- المشروع الرابع (1946م - 1950م) اهتم بالتعمير والبناء لمواجهة ما خلفته أضرار الحرب ثم توسع إلى زيادة كبيرة في إنتاج سلع الإنتاج ومواد الوقود.

5- المشروع الخامس الذي انتهى في 1955م هو الآخر تأثر بالحرب الكورية فتوسع في المجال الحربي بتحقيق زيادة كبيرة في صناعة الحديد والصلب والفحم والبتترول والحبوب.

5/ أهداف الاشتراكية:

- تعزيز التعاون والتشارك في إنتاج السلع و الخدمات.
- الدفاع عن النظام الاقتصادي للشركات والمؤسسات المختلفة المنتجة للسلع والخدمات مهما كان نوعها.
- تحقيق الربح المعقول واستثمار الطاقات البشرية في عمليات الانتاج .
- توفير السلع والخدمات وانتشارها في جميع الأسواق دون اللجوء إلى الاستحواذ على تلك الأسواق.

6/ إيجابيات وسلبيات النظام الاشتراكي:

سلبيات النظام الاشتراكي	إيجابيات النظام الاشتراكي
- غياب نظام حافز كفو وبالتالي انخفاض إنتاجية العمل.	- القضاء على الاختلاف الطبقي وتحقيق المساوات الفعلية بين أفراد المجتمع.
- عدم القضاء على الاستغلال إذ لم تتحقق العدالة في التوزيع فالفائض الذي كان يأخذه أرباب العمل في النظام الرأسمالي أصبح يذهب إلى خزينة الدولة في النظام الاشتراكي.	- التأكيد على توزيع الأرباح كاملة على أفراد المجتمع وبالتالي ارتفاع مستوى المعيشة لأفراده.

المحور الرابع: الوقائع الاقتصادية في الدول الاشتراكية بعد الحرب العالمية

- سيادة القانون في المجتمع.	- عدم كفاءة أسلوب التخطيط المركزي لإدارة الاقتصاد القومي: تؤدي مركزية التخطيط لعدم قدرة الاقتصاد على مواجهة التغيرات الطارئة في الحياة الاقتصادية وخاصة التي يصعب التنبؤ بها من أجل مواجهة سريعة وفاعلة.
	- انعدام الحرية الفردية في اختيار النشاط الاقتصادي، و في التملك، و في اختيار السلع و الخدمات التي يستهلكها.
	- البيروقراطية والتعقيدات المكتنبة.

الخاتمة: حقق النظام الاقتصادي الاشتراكي نجاحا كبيرا في بدايته و ذلك من خلال حشد الموارد و توجيهها للتنمية، خاصة باعتماده مشروع السنوات الخمس التي مثلت الركيزة الاساسية في تقوية و بناء اقتصاد الاتحاد السوفياتي، ما جعل دول اخرى تسنلهم هذا النموذج و تتبنى الاشتراكية كالصين و يوغوسلافيا وكوبا و حتى دول اوربا الشرقية، الا انه في منتصف الثمانينات من القرن الماضي وصل الى طريق مسدود بحيث لم يعد يواكب الثورة التقنية التي اطلقتها الرأسمالية و لم يعد يحقق الرفاه المنشود لمواطنيه كما ظهرت عليه عدة دلائل على عدم كفاءته في استخدام الموارد. و مع بداية التسعينات تهاوى النظام الاشتراكي و بدأت الدول التي عملت به تتخلى عنه طبعا لصالح النظام الرأسمالي.